من حكايات زمان

صديق القطط



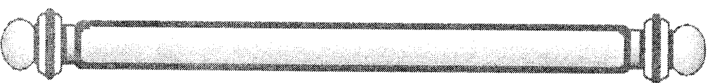



على ماهر عيد
رسوم: عبد الرحمن بكر

دار الروضة
للنشر والتوزيع



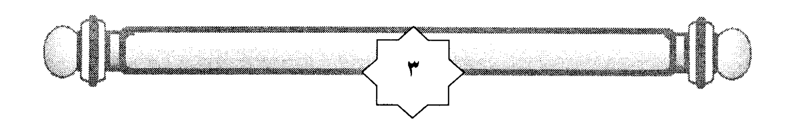
Dar El-Rawdah.
2Darb El-Atrrak. El-Azhar



اغترف الجد من صندوق ذكرياته هذه الحكاية ونثرها فى هذه الكلمات قائلاً:

فرحنا عندما رأينا قطة صغيرة تحت شجرة الجميز، وأسرعت مع صديقى تامر، وأمسكنا القطة، وهى تموء وكأنها تنادى أمها، وتشكو من فقد الحنان.

حملنا القطة ونحن فرحين لأنها تعنى لنا قطعة نقود قيمتها قرشين من الشيخ أحمد، فهو الوحيد الذى يشترى القطط الصغيرة الضالة.

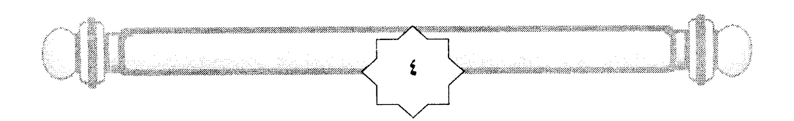


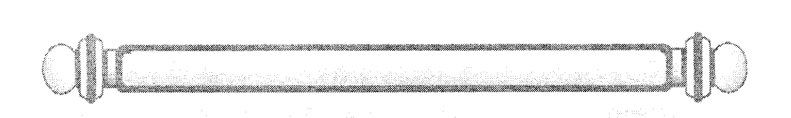
سـرنا علـى الجسـر حيـث يوجـد بيتـين متجاورين.. أمامهما نخلة، والشيخ أحمد النوبـى يسكن أحدهما، والبيت الآخر يسـكنه نوبـى آخـر جاء من بلاده البعيدة مع الشيخ أحمد..

طرقنا الباب، فسمعنا صوتاً حنونـاً متلـهفاً.. تعالى يا ولد.. الباب مفتوح..

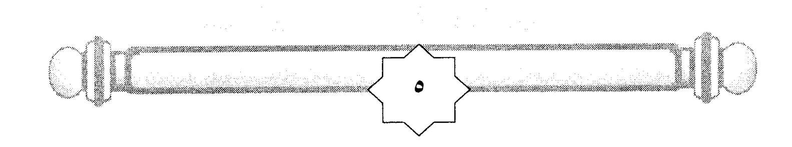
دخلنا إلى الفنـاء الكبـير، وكـانت أم عبـد الله زوجـة الشـيخ أحمـد تـهش علـى البـط والدجـاج، سألتنا السيدة السمراء ووجهها يضحك:

ـ ماذا تريد يا ولد..؟!







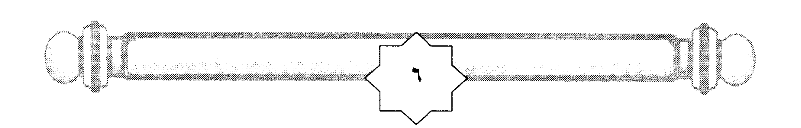


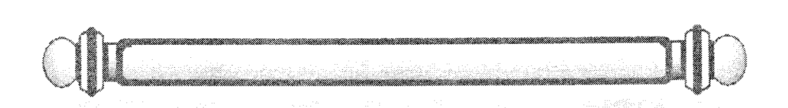
ـ الشيخ أحمد يا خالة.

وقعت نظراتها على القطة، فاكتسى وجهها بكثير من اللهفة، وامتلأ صوتها بكثير من الحنان والدفء وهى تمد يدها إلينا قائلة:

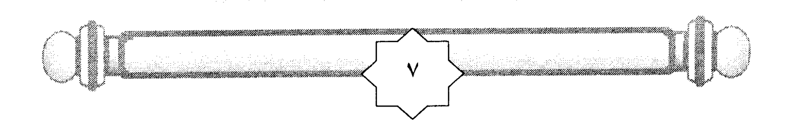
هات القطة يا ولد فرفضنا وسألنا مرة أخرى عن الشيخ، فقالت:

إنه فى المقهى.. ذهبنا إليه فى المقهى الصغير الذى يديره، فقال لنا صبى المقهى:





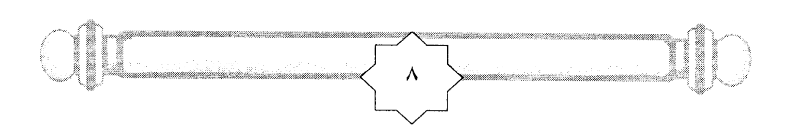




الشيخ سيكون عند دار الحاج عبد النظير لأنه عامل ذكر..

فى المساء ذهبنا إلى الحارة التى يسكن فيها الحاج عبد النظير.. كانت الحارة تحتفل فهى مفروشة بالحصر التى أحضروها من المصلية والفوانيس الكبيرة تضىء الحارة بنور مبهر، والرجال يتطوحون وهم يقولون:

الله حى.. الله حى، وتزداد حركتهم قوة وحرارة مع تصفيق النقيب على يديه لضبط

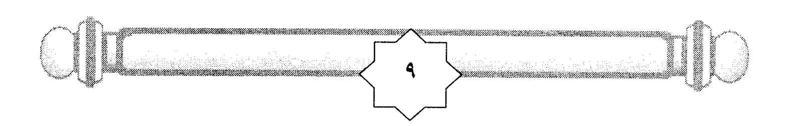


الإيقاع، وصوت النقيب يشدو بقصيدة مدح للرسول عليه الصلاة والسلام..

تقدم منا أطفال الحارة، وهم فى حالة سعادة وفخر بالذكر، وسألونا:

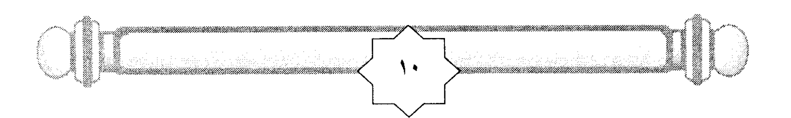
- ماذا تريدان..؟!.

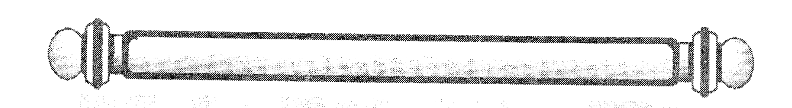
لكنهم ابتسموا عندما رأوا القطة، وعرفوا ما نريد، فأشاروا إلى الشيخ الذى كان يتطوح فى حالة نشوة صوفية، وعيناه مغمضتان كأنه يضم أحلاما ورؤى بينهما..



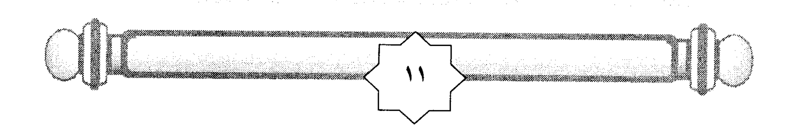
أشـرنا إلى الشـيخ، ولكنـه لا يـــرى إلا عـــالم الملائكة الـذى يحلـق فيـه.. تطـوع أحـد الأطفـال، وغمز الشيخ أحمد فى جانبه فقفـز وهـو يصيـح الله وفتح عينيه فوقعت نظراته على القطة..

انتشرت الابتسامة فـى وجهـه الطيـب، ومـد يده نحو القطة، وهو يناجيها بكلمات نوبية غـير مفهومـة لنـا.. لم نعطـه القطـة إلا بعـد أن أخذنـا القرشين.. وانصرف الشيخ أحمد وهو يضـم القطـة بحنان، ارتاحت القطة إليه، وأخذت تتمسح به..





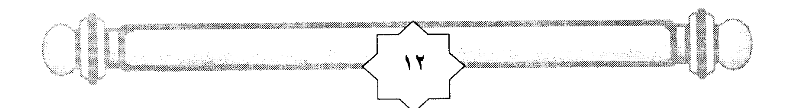


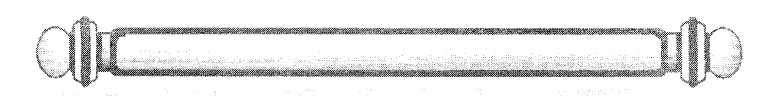


فى اليـوم التـالى بحثنـا عـن قطـة صغـيرة فلـم نجد، ودار حديث الأطفال عن الشـيخ أحمـد وحبـه الشديد للقطط الصغيرة الضالة..

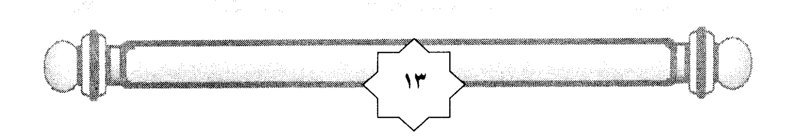
لكن هناك شيء تذكرته، ففـى فنـاء دار الشيخ أحمد لم أر غير قطتين، فـأين بـاقى القطـط؟! ومـاذا يفعل بها الشيخ أحمد..؟!

وأفتى بعض الأطفال بأنه هـو وزوجتـه يـأكلان القطط، فشعرت بانزعاج شـديد، واتجـهت إلى بيـت الشيخ لأعرف الحقيقـة، وعنـد البـاب رأيـت امـرأة تحمل قطة كبيرة وتمسح عليها بحنان، فسألتها عن القطة:







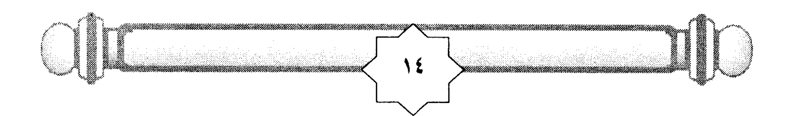


فأجابت بأنـها أخذتـها مـن أم عبـد الله وهـى تـهدى القطط الكبيرة لمن يريدها لتنظيف بيته مـن الفئران والثعابين.. فسألتـها:

ـ وهل يأكلان القطط الصغيرة؟!..

ضحكت المرأة وأجابت:

إنــهما يحبــان القطــط الصغــيرة ويربيانــها ويعطيان القطط الحب والحنان لأنـهما محرومان من الأطفال..



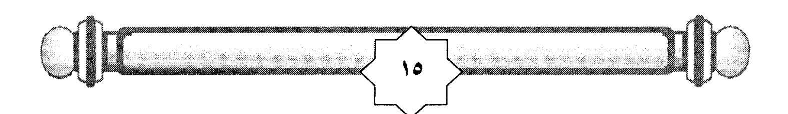
انصرفت بعد أن ازداد حبى للشيخ وزوجته أم عبد الله..

وحول الطبلية وعند تناول العشاء، كانت قطة تموء بالقرب منا..

لاحظ أبى أنى أداعب القطة، وقد انصرفت عن العشاء، فطلب منى الاهتمام بأكلى، فحكيت له حكاية الشيخ أحمد مع القطط..

قال أبى:

لابد للإنسان أن يحب شيئا ويرعاه.. لكى يشعر أن له قيمة ولذلك انصرف الشيخ أحمد



وزوجته إلى تربيـــة القطـط ورعايـة الدجـاج والبـط والأوز، وزراعــة الخضـروات فــى فنــاء الـــدار والنخيل أمام الدار، ولم أفهم شيئا وقتــها.. لكنــى ازددت حبا للشيخ أحمد وزوجتـه أم عبــد الله، وحزنت عندما سافرا عائدين إلى النوبة..

وهنا وصل الجد إلى النهاية

وقال هنا انتهت الحكاية

مطابع الشرطة ت: ٥٩٠٣٠٣٠

